المبحث الثانى

أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج الإرهاب

جاء الإسلام والبشرية تتخبط في ركام هائل من العقائد والتصورات، والفلسفات، والأساطير، والأفكار، والأوهام، والشعائر والتقاليد يختلط فيها الحق بالباطل، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة

والحياة الإنسانية بتأثير هذا الركام الهائل، تتخبط في فساد وإنحلال، وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة، لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان(١)

فجاء الإسلام وكرم الإنسان ورفعه بالإيمان الصحيح، وقوَّمه بالمنهج الشرعي الشامل، فعاشت البشرية في ظل الإسلام أرقى حياتها وأسعد قرونها، وها نحن أولاء اليوم نعيش في القرن الخامس عشر الهجري، لكن الغلبة فيه لأهل الباطل، وذلك بسبب بعد المسلمين عن منهج الإيمان الصحيح

والإيمان الصحيح هو منهجنا فنحن أرحم الخلق بالخلق، وأرهبهم للخالق، وهذا إنما هو بفضل عقيدتنا التي هدانا الله لها، فما هي؟

عقيدتنا: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره

فنؤمن بربوبية الله تعالى؛ أي: بأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل

ونؤمن بأسمائه وصفاته؛ أي: له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا

ونؤمن بوحدانيته في ذلك؛ أي: بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى:**{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ له سَمِيًّا}**(٢) وشرح أركان الإيمان وذكر أدلتها مما يطول به البحث، ولكن نذكر ثمرات هذا الإيمان الذي لو تحقق لأصلح الفساد الاعتقادي الذي يتخبط فيه العالم والذي من نتائجه الإرهاب العالمي الذي تعاني منه البشرية إن المؤمن حين يتربى على الإيمان الصحيح لا يقع في سلوك العنف أو الإرهاب، وذلك بما تملكه هذه العقيدة من سلطان على الفكر والإرادة، له أكبر الأثر في تهذيب سلوكه وتصرفاته، فتجعله حافظًا لحقوق

(١) خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص(٢٢).
(٢) مريم: ٦٥.

الله تعالى وحقوق عباده، وسأذكر باختصار بعض ثمرات أركان الإيمان:

فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١)

والإيمان بالملائكة يثمر العلم بعظمة خالقهم، وشكره تعالى على عنايته بعباده، كما أن الإيمان بالملائكة الذين يكتبون أعمال الإنسان له أثره في استقامة السلوك حتى لا تكتب على المؤمن إلا ما هو خير، فيبتعد بذلك عن الشر والجريمة

والإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، وأنها كلام الله ووحيه الذي ينبغي اتباعه، يجعل المؤمن على طاعة والتزام، ويربي فيه ضميره ونفسه اللوَّامة التي تحمله على الخير وتباعد بينه وبين الشر

والإيمان بالرسل عليهم السلام، وهم القدوة الكاملة من البشر، يحمل المؤمن بهم على محبتهم وتوقيرهم والتأسي بهم في الطاعة والخير والصلاح، والبعد عن كل ما يتنافى مع الإيمان واستقامة السلوك والمنهج

والإيمان باليوم الآخر وما فيه حقائق، إنما هو تربية للشعور الحقيقي بالمسؤولية، وتحقيق للأخلاق الفاضلة المطلقة في سلوكنا وحياتنا، تحقيقًا فعليًا مستمرًا، ثابتًا غير متقلب، بلا نفاق ولا رياء وكذلك له أثره في انضباط جميع الدوافع والغرائز والتحكم في هذه القوى الغريزية الجامحة، خوفًا من الله تعالى وطمعًا في جنته

والإيمان بالقدر له أثره في الاعتماد على الله تعالى، وراحة النفس، وطرد الإعجاب بها عند حصول المراد، وطرد القلق والصبر عند فواته، وهو يحمل صاحبه بعد وقوع الأقدار على أخذ العبرة والدرس، والتوبة من الخطأ والذنب

هذه بعض ثمرات أركان الإيمان على سبيل الإشارة لا الحصر(٢)، ويمكن القول

(١) النحل: ٩٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، للنحلاوي ص(٧٢) وما بعدها. وعقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ ابن عثيمين، ص٤٥ - ٤٨. وأثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة ص١٦٦ - ١٦٧، وغيرها كثير مما كتب عن آثار الإيمان.

بأن الإيمان إجمالاً هو:

أُسُّ الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضى والقناعة بالأقدار، ونور الأمل في الصدور، وسَكَنُ النفوس إذا أوحشَتْها الحياة، وعزاء القلوب إذا نزل الموت، أو قَرُبت أيامه، والعروة الوثقى بين الإنسانية ومُثُلِها الكريمة[١]

إنهم يُلصقون بالإسلام تهمة الإرهاب ليخوفوا الناس منه وينفروهم عنه، بعد أن رأوا أنه يكتسح القلوب ويُلجم العقول بعقيدته وشريعته، لقد سبق الإسلام جميع القوانين في محاربة الإرهاب، وحماية المجتمعات من شروره، وفي مقدمة ذلك حفظ الإنسان وحماية حياته وعرضه وماله ودينه وعقله من خلال حدود واضحة منع الإسلام من تجاوزها:**{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [٢]وهذا توجيه لعموم البشر

وتحقيقًا لهذا التكريم منع الإسلام بغي الإنسان على أخيه الإنسان وحرم كل عمل يلحق الظلم به:**{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**[٣]

وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض ولم يحدد ذلك في ديار المسلمين:**{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ له اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}**[٤]

وفي دين الإسلام توجيه للفرد والجماعة للاعتدال واجتثاث نوازع الجنوح والتطرف، وما يؤدي إليهما من غلو في الدين، لأن في ذلك مهلكة أكيدة: **«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»** رواه أحمد والنسائي

وعالج الإسلام نوازع الشر المؤدية إلى التخويف والإرهاب والترويع والقتل بغير حق، قال رسول الله ﷺ : **«لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا»** رواه أبو داود، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه»** رواه مسلم

(١) قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص(٤٤٠).
(٢) البقرة: ٢٢٩.
(٣) الأعراف: ٣٣.
(٤) البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦.

وقد أوصى الله بمعاملة أهل الذمة بالقسط والعدل فجعل لهم حقوقًا ووضع عليهم واجبات، ومنحهم الأمان في ديار المسلمين، وأوجب الدية والكفارة على قتل أحدهم خطأ:**{وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}**(١)

وحرم قتل الذمي الذي يعيش في ديار المسلمين: **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»** رواه البخاري وأحمد وابن ماجة

ولم ينه الله المسلمين عن الإحسان لغيرهم وبرهم إذا لم يقاتلوهم ويخرجوهم من ديارهم:**{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**(٢)

وأوجب سبحانه وتعالى العدل في التعامل مع أهل الذمة والمستأمنين وغيرهم من غير المسلمين:**{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** (٣)

أنه لمن أظلم الظلم أن توصف شريعة كهذه بالإرهاب، أين مثل هذه التشريعات في التوراة المحرفة، بل وجدنا فيها الحث على القتل والتدمير والظلم! بينما في الإسلام نجد الرحمة والمحبة والسلام تشهد بذلك تعاليم هذا الدين وأحكام شريعته الحنيفية السمحة، وتاريخ المسلمين الصادق النزيه قال تعالى مخاطبًا نبيه محمد ﷺ:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**(٤)، وقال:**{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}**(٥) وقال:**{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}**(٦) وقال لأصحابه: **«إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»** رواه البخاري وقال: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»** رواه مسلم، وقال: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا**

(١) النساء: ٩٢.
(٢) الممتحنة: ٨.
(٣) المائدة: ٨.
(٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٥) الأعراف: ١٩٩.
(٦) التوبة: ١٢٨.

شانه» وقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»

هذا عدل الإسلام ورحمته ولكنهم صم بكم عمي لا يفقهون!!

فإن قيل: ما يحدث في بلادكم من عمليات إرهابية يخالف هذا

قلنا الجواب: إن هؤلاء شرذمة قليلون لا يمثلون الإسلام ولديهم إنحرافات فكرية قادتهم إلى الغلو والتطرف إضافة إلى كونها في غالبها ردود أفعال على ما يحيق بالمسلمين في كل مكان ولاسيما في فلسطين من ظلم عالمي يخلفون فيه ما يدعون من الحريات وحقوق الإنسان وتقرير مصائر الشعوب

ولقد واجه الإسلام حملات الإرهاب قديمًا كالخوارج والحركات الباطنية وجيوش الصليبيين وغيرها وسيظل راسخًا أبيًا أمام حملات الإرهاب المعاصرة من الداخل والخارج

١ - الإسلام هو دين الله الذي فطر الناس عليه جميعًا، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام

٢ - أن العقائد أو الأديان غريزة أساسية تحل من المجتمعات والدول محل القلب من الجسد، وأن الذي يؤرخ الديانات كأنما يؤرخ الشعوب وأطوار المدنيات

٣ - توجد علاقة طردية بين صفاء العقيدة وتقدم المجتمعات والدول الإسلامية وبالعكس، والتاريخ خير شاهد على ذلك

٤ - أن الإرهاب مصطلح غامض، لم يتفق على تعريفه، وقد كثرت تعريفاته، وأمثلها تعريف المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي

٥ - أن العامل الاعتقادي هو الأهم من عوامل الإرهاب، ولهذا كانت الانحرافات الاعتقادية لها الدور الأكبر في الإرهاب العالمي

٦ - أن الإسلام هو علاج الإرهاب ودواؤه الناجع، بعقيدته المرتكزة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبشريعته الشمولية الكاملة التي حفظت للإنسان حقوقه مسلمًا كان أو غير مسلم

٧ - أن الإسلام قد تعرض لحملات عنيفة من الإرهاب الداخلي والخارجي ولكنه ظل راسخًا، وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار

٨ - عدم الانصياع لتوجيهات الغرب بطلب تغيير المناهج الإسلامية، لأن تقليص هذه المناهج يزيد من الإرهاب، وتذكيرهم بما في مناهجهم، من التطرف والإرهاب الحقيقي

٩ - وجوب التمسك بالعقيدة الإسلامية وعدم التخلي عن ثوابتنا إرضاء لأعدائنا، ونحن نراهم يتمسكون بهذه النبوءات المحرفة ويبنون سياساتهم عليها، ونحن أولى منهم بالتمسك بكتابنا وسنة نبينا محمد ﷺ فالله مولانا ولا مولى لهم [١]

* * * * *

(١) أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي الصهيونية نموذجًا د. سعد بن علي الشهراني عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة جامعة أم القرى والمستشار برابطة العالم الإسلامي/بتصرف.